

إسرائيل أصبحت مثل الاتحاد السوفيتي في أيامه الأخيرة

الجمعة 11 أبريل 2025 01:30 م

قبل عقدين من الزمن، ابتكر عالم الأنثروبولوجيا الأمريكي الروسي أليكسي يورتشاك مصطلح "التطبيع المفرط" لوصف الواقع الغريب والسريالي للاتحاد السوفيتي خلال عقديه الأخيرين. في تلك الفترة، كان المواطنون والمسؤولون يعلمون أن النظام السوفيتي كان معطلاً ولم يعد يعكس الواقع، ومع ذلك استمر الجميع كما لو أنه لا شيء خاطئ.

كان من الصعب تخيل أن جدار برلين سيتساقط، أو أن الاتحاد السوفيتي القوي سيتفكك إلى 15 دولة مستقلة، معتمداً على واردات القمح من الولايات المتحدة في التسعينات.

عند النظر إلى الوراثة، يصبح من السهل تحديد الأجزاء المكسورة من ذلك النظام وفهم مدى غرابته واستحالة استمراره - وهو ما وصفه يورتشاك بأنه تطبيع مفرط.

الآن، صنع في اعتباره هذا: تم مؤخرًا إعدام 15 من رجال الإنقاذ والعاملين في المجال الطبي على يد الجيش الإسرائيلي في غزة، وبعد أن قام أحدهم بتوثيق اللحظة بالفيديو - مما تحدى السرد الرسمي للجيش الإسرائيلي - بدأ العالم في طرح الأسئلة.

في إسرائيل، مع ذلك، لم يحدث أي مساءلة عامة، ولا أي تفكير أخلاقي - باستثناء عائلات الرهائن، التي تواصل المطالبة بعودة أحيائها دون الاعتراف بالمعاناة الكارثية التي تلحق باسمهم على مليوني فلسطيني في غزة. إن الحقيقة المتمثلة في إعدام عمال الإنقاذ بشكل يذكركم بالأفلام الديستوبية - دون أي مبرر - بينما تستمر المجتمع الإسرائيلي كما لو أن ما حدث وقع على كوكب آخر، أمر مذهل.

لم يقدم أي سياسي إسرائيلي استفسارًا أو انتقادًا للحادثة. وسط هذه الفوضى، يبدو أن المجتمع الإسرائيلي في حالة من التناثر المعرفي، مفصول عن الواقع نفسه.

تفكيك المؤسسات الحكومية

في نهاية العام الماضي، رفض فرع منظمة العفو الدولية في إسرائيل قبول تقرير المنظمة الخاص بـ "الإبادة الجماعية في غزة"، رغم أن فرع المنظمة في إسرائيل كان الأكثر تعرضًا للأهوال في غزة وكان الخطاب العام بشرعنها

أسفرت الحرب الإسرائيلية عن مقتل أكثر من 50800 شخص في غزة وسببت مجاعة واسعة النطاق. قبول المجتمع الإسرائيلي لهذا العنف كمجموعة من "التطبيع المفرط" يتزامن مع العرق العميق للأمة في العبث، حيث يقوم رئيس وزرائها بتفكيك المؤسسات الأساسية للدولة.

خلال زيارته الأخيرة إلى هنجاريا، منح رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو دكتوراه فخرية من جامعة الخدمة العامة في بودابست. يبدو أن تنظيم إبادة جماعية وأن يكون مطلوبًا من المحكمة الجنائية الدولية يؤهل المرء للحصول على أوسمة أكاديمية.

والأكثر دهشة أنه بينما كان يقف في مؤسسة من المفترض أن تدرّب موظفي الدولة، هاجم نتنياهو الخدمة المدنية نفسها، مستدعيًا تحذير والده حول قوة "الدولة العميقة".

يُعتقد أن هذا المصطلح نشأ في تركيا في التسعينات لوصف الشبكات السرية من الجنرالات والبيروقراطيين رفيعي المستوى الذين يعملون بعيدًا عن الرقابة الديمقراطية. ومع ذلك، يعرف نتياهو جيدًا أن إسرائيل لا تمتلك دولة عميقة - لأنها لا تحتاج إليها.

رفض القوة الناعمة

بخلاف الانهيار الداخلي لإسرائيل، يواصل نتياهو السعي وراء طموحاته الإقليمية الخطيرة. بعد عودته من زيارة إلى البيت الأبيض، ضغط على واشنطن للتفكير في شن ضربة على إيران إذا لم تلبّي شروط معينة في المفاوضات بين الولايات المتحدة وإيران. في الوقت نفسه، يدفع لصالح تفتيت سوريا بطرق تخدم المصالح الاستراتيجية الإسرائيلية - كما لو أن السوريين ليس لديهم حق في تقرير مصيرهم.

لا تزال تجد لوحات ضخمة في الشوارع الإسرائيلية لصور الرئيس الأمريكي دونالد ترامب وولي العهد السعودي محمد بن سلمان تحت شعار: "إسرائيل مستعدة للتطبيع مع السعودية".

على بُعد ساعة من غزة، يحتسي الإسرائيليون القهوة بينما تستعر الإبادة الجماعية.

التدهور الداخلي والخارجي لإسرائيل

لا يوجد شيء طبيعي فيما يحدث في إسرائيل الآن. إن فكرة أن هذا الجنون يمكن أن يستمر إلى أجل غير مسمى ليست مجرد أمر سخيف؛ بل هي خطر.

لا تزعزع المغامرة الإقليمية المتهورة لنتيهاو استقرار الشرق الأوسط فحسب، بل تمزق المجتمع الإسرائيلي نفسه.

<https://www.middleeasteye.net/opinion/israel-has-become-soviet-union-its-dying-days>